مراعاة سنّة خير البشر في آداب السّفر للحاج والمعتمر

2022-06-17

الحمد لله الذي جعل متعة الأسفار عموما خير متاع، وخصوصا والهدف منها عبادة الحج وزيارة خير البقاع، فسبحانه من إله بيّن سرّ السعادة في السفر والإيّاب. هو قول نبيّنا الأوّاب. صلى الله وسلم عليه. وعلى آله والأصحاب. فيما رواه أبو نُعيم في حِلية الأولياء. والحُمَيدي في مسنده. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ للهِ صلى الله عليه وسلم:((ثَلاَثَةٌ فِي ضَمَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ خَرَجَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ خَرَجَ حَاجاً)). وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، فَجَعَلَهُ مُكَفِّرًا لِلذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ جَزِيلَ الْأَجْرِ وَالْإِنْعَامِ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبد الله ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. خير مَن حلّ وارتحل، ومكث وانتقل. وسار ونزل، أقام فكان الخير في إقامته، ورحل فكان الظَّفَر في رحلته، دلّنا على الخير في سفرنا وحضرنا، وإقامتنا وظَعَنِنا، إخواني: صلّوا على هذا النبيّ الكريم. الذي لا وصول إلى الله إلاّ من جهته. ولا طريق إلى الجنّة إلاّ بمتابعة طريقته وسنّته. اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. خير مَن حج واعتمر من الأنام. وعلى آله المطهّرين ببركته من الرجس والآثام. وصحابته المخصوصين بالتعظيم والإحترام. صلاة تمنّ بها علينا بحجّ بيتك الحرام. وأداء المناسك المعظّمة على التمام. وتمتّع اللهمّ بها أبصارنا وبصائرنا في روضة حبيبك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. مع أصحابه الأجلّة الكرام. وزيارة ضريحه المنوّر بنُور الوحي والإلهام. وعرصاته المباركة التي تردّد إليها جبريل عليه السلام. وزارها أكابر المقرّبين والملائكة العظام. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ من مُتَع الدنيا متعة السياحة والأسفار، والسياحة أمر مشروع، فقد حَثَّ الإِسْلامُ عَلَى السَّفَر. وَجَعَلَهُ مَجَالاً لِلتَّفَكُّرِ وَالنَّظَرِ، والتَّدَبُّرِ فِي خَلْقِ اللهِ وتَارِيخِ مَنْ غَبَرَ، قَالَ سُبْحَانَهُ في سورة الحج:((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا

لا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ))، وقال تعالى في سورة العنكبوت:((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ))، وقال سبحانه في سورة النمل:((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)). وقال في سورة الروم:((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ)). وأخرج البيهقي في سننه من حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم. عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((سافروا تصحّوا وتغنموا)). ويقول الإمام الشافعي رحمه الله ورضي عنه في فوائد السفر:

تَغَرَّبْ عَن الأَوْطَانِ في طَلَبِ الْعُلَى * وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

تَفَرُّجُ هَمٍّ، وَاكْتِسابُ مَعِيشَةٍ، * وَعِلْمٌ، وَآدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَاجِد

أيّها المسلمون. والسياحة على نوعين: السياحة الدنيوية، والسياحية الدينية؛ وقد صادَفْنَا في هذه الأيام مناسبةَ النوعين معًا؛ فالسياحة الدنيوية لأنّنا على أبواب مَوْسِمِ الإجَازَاتِ. واشتداد حرارة الصيف، ممّا يحمل كثيراً من الناس بالهروب إلى والمتنزهات، والفرار إلى الشواطئ والمنتجَعات، والتَّرْوِيحِ عن النفس، وأمّا السياحة الدينية لأنّنا في هذه الأيام أيضا نودِّع الطلائع الأُولى للحجاج المسافرين لأداء فريضة الحج وزيارة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. لَقَدْ عُنِيَ الإسلاَمُ بِالسَّفَرِ عِنَايَةً فَائِقَةً؛ فَجَعَلَ لَهُ أَحكَاماً تَخُصُّهُ مِنْ سُنَنٍ وآدَابٍ وواجِبَاتٍ، وأَذْكَارٍ ودَعَواتٍ، وخاصة رحلة الحج الميمونة. فَيَنْبَغِي لِلْحاج المَحَافَظَةُ عَلَى ذِكْرِ اللهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ومُنَاسَبَةٍ، إِذِ المُسَافِرُ تَعْرِضُ لَهُ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ، ولِكُلِّ مِنْها أَدْعِيَةٌ مَخْصوصةٌ، فَلْيَأْتِ كُلاًّ مِنْها فِي وَقْتِهِ ومُنَاسَبَتِهِ، فَقد روى الإمام أحمد في الزهد. وغيره. عَنْ أَبِي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:((اذكُروا اللهَ فِي أَسفَارِكُمْ عِنْدَ كُلِّ حَجَرة وشَجَرة، لَعَلَّها تَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ تَشْهَدُ لَكُم))، وقَدْ عَلَّمَنَا اللهُ تَعالَى أَنْ نَذْكُرَهُ فِي بِدَايَةِ أَسفَارِنَا، وذَلِكَ فِي قَولِهِ في سورة الزخرف:((لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ))، وبِدَوامِ ذِكْرِ اللهِ فِي السَّفَرِ يَتَضَاعَفُ الأَجْرُ والثَّوابُ، ويَكُونُ

مَظِنَّةً لإِجَابَةِ الدُّعَاءِ مِنَ الكَرِيمِ الوَهَّابِ، روى الترمذي وأبو داود وابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ. دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ)). وروى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:((إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ. كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ مُقِيماً صَحِيحاً)). وهَكَذَا يُبقِي صِلَتَهُ بِاللهِ قَوِيَّةً، وتَصلُحُ عَلاَقَتُهُ مَعَ صَحْبِهِ فَتَكونُ قَوِيمَةً سَوِيَّةً، فَفِي السَّفَرِ تَنْكَشِفُ لِلنَّاسِ أَخْلاَقُ المَرءِ عَلَى حَقِيقَتِها، وتَظْهَرُ سُلُوكِيَّاتُهُ عَلَى طَبِيعَتِها، فقَدْ رُوِيَ كما في كتاب (الكفاية في علم الرواية): عَنْ خَرَشَةَ بنِ الحُرِّ قال: ((شَهِدَ رَجُلٌ عند عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله تعالى عنه بشهادةٍ، فقال لَهُ: لَسْتُ أَعْرِفُكَ، ولا يَضُرُّكَ أَلَّا أَعْرِفَكَ، إِئْتِ بِمَنْ يَعْرِفُكَ، فقال له رجلٌ من القومِ: أنا أَعْرِفُهُ! قال: فبِأيِّ شيءٍ تَعْرِفُهُ؟ قال: بالعدالةِ والفَضلِ. قال: فَهُوَ جَارُكَ الأدنَى الّذي تَعْرِفُ لَيْلَهُ وَنَهارَهُ وَمُدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ؟ قال: لا. قال: فَمُعَامِلُكَ بالدّينارِ والدّرهمِ اللذَيْنِ بِهِما يُسْتَدَلُّ على الوَرَعِ؟ قال: لا. قال: فَرَفيقُكَ في السّفرِ الّذي يُسْتَدَلُّ بِهِ على مكارمِ الأخلاقِ؟ قال:لا. قال: لَسْتَ تَعْرِفُهُ. ثُمّ قال للرّجلِ: ائْتِ بِمَنْ يَعْرِفُكَ)). أيّها المسلمون. إنّ الحافظ هو الله تعالى؛ كما قال سبحانه في سورة سبأ:((وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ))، وقال سيّدُنا يعقوب عليه السلام لمّا فَقَد إبنَه سيّدَنا يوسف عليه السلام وخشي أن يفقد أخاه معه:((فَاللهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)). وقد أَوْكل عزّ وجلّ بالعباد ملائكةً يحفظونهم من المخاطر والمفاجآت؛ كما قال سبحانه في سورة الأنعام:((وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً))، وفي سورة الرعد:((لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله)). ولا أحد يحفظ من الله تعالى. كما قال سبحانه في سورة الأنبياء:((قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ))، وفي سورة الأحزاب:((قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ الله إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً))، وفي سورة الفتح:((قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا)).

وأَوْلى الناس بحفظ الله تعالى ورعايته في حلّهم وترحالهم، وفي حال الأمن والخوف. هم المحافظون على فِعْل أوامر الله تعالى، والمجتنبون لنواهيه؛ كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي. أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس رضي الله عنهما:((يا غُلَامُ. إنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ. إحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، إحْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ)). وفي حِفْظ الأوامر قولُ الله تعالى في سورة المؤمنون:((وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)). وفي حِفْظ النواهي قولُ الله تعالى:((وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ)). والسفر عموما. وبالخصوص سفر الحج. إنما هو امتحانٌ للعبد في صِدْقه مع الله تعالى، ومراقبته له، وحِفْظه لأوامره ونواهيه، بِحِفْظ بصرِه عمّا حرّم الله تعالى، وحِفْظ سمعِه عن سماع الحرام، وحِفظ رجلَيْه عن الذهاب إلى حرّم الله، وحِفظ سائر جوارحه عن الحرام، وقد روى الإمام أحمد عن أبي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((مَن حَفِظَ ما بين فُقْمَيْهِ وَفَرْجَهُ دخل الْجَنَّةَ)). وروى البخاري عن سَهْلِ بن سَعْدٍ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((مَن يَضْمَنْ لي ما بين لَحْيَيْهِ وما بين رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ له الْجَنَّةَ)). وإذا حَفِظ العبدُ ربَّه حَفِظه الله تعالى:((إحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ)). وحِفْظ الله تعالى للعبد يكون في دينه ودنياه؛ فيحفظ عليه دينَه، ويعينُه على نفسه وشيطانه، فيعبدُ الله تعالى في سفره كما يعبده في حضره، ويقيمُ دينَه حال غيبته عمّن يعرفونه كما يقيمُه في حضرتهم، وإذا نازعته نفسه على ارتكاب شهوة محرَّمة في حال ضَعْف كان مِن حفظ الله تعالى له صَرْفُه عنها، أو عدم قدرته عليها. ويعينه الله تعالى على حِفظ سمعِه وبصره وسائر جوارحِه عن المحرَّمات، ويحفَظُه اللهُ تعالى في نفسه من كوارث السفر ومخاطِرِه، ويحفَظُ مالَه من الضياع والسرقة، ويحفَظُ أهلَه وولدَه فلا يُفْجَع فيهِم، ويحفَظُ الله تعالى عليهِم دينَهم وأخلاقَهم بصلاح والدِهم ودعائِه، ومراعاتِه أوامرَ اللهِ تعالى في نفسه وأهل بيته؛ لأنّه قد حظي بمعيّة الله تعالى له في سفره، ومَن كان الله تعالى معه فلن يخشى أحدًا، ولن ينالَ عدوٌّ منه شيئًا، وقد قال الله تعالى

لموسى وهارون عليهما السلام وهما يواجهان أطغى الطغاة، وأقسى الجبابرة. قال تعالى في سورة طه:((لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى))، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لسيِّدِنا أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في سفر الهجرة، كما رواه الشيخان. وقد أطبق المشركون عليهما من كل جانب، قال:((ما ظَنُّكَ يا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا)). أيُّها المسلمونَ. إنّ أكثر الناس يحرصون على الأسباب المادية لاتّقاء الحوادث والفواجع ولا سيما في الأسفار، ولكنّهم يهملون الأسباب الشرعية، التي جاءت بها السنّة النبوية. وهي أهمّ وأَوْلى بالرعاية والمحافظة من الأسباب المادية، والجمع بينهما سببٌ لحفظ العباد ووقايتهم. ومن الأسباب الشرعية لِحفظ المسافرين والحجّاج ووقايتهم من مفاجآت الطريق، ومخاطر السفر؛ حُسن توديع القرابة للمسافر بالدعاء الوارد. أخرج أبو بكر الخرائطي في كتاب (مكارم الأخلاق): عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إذا أراد أحدُكم سفرًا فليودِّع إخوانه. فإنّ الله جاعلٌ له في دعائهم البركة)). أيُّها المسلمونَ. ومن الأسباب الشرعية لحفظ المسافر والحاج. محافظته على دعاء السفر مع فَهْم معانيه واليقين بما فيه. فقد روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ:((سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ، فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ))، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ:((آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ)). وفي هذا استعاذة من المشقّة والتعب، وممّا يورث الهمّ والحُزن، ومن أيّ سوء يصيب الأهل والمال. وينبغي للمسافر أن لا يُفَرِّط في أدعية الصباح والمساء والنوم وأدبار الصلوات التي قد يشغله عنها شاغل، وهو في حال سفره أشدّ حاجة

إليها من حال إقامته؛ لكثرة ما يحيط به من مفاجآت السفر ومخاطره، ومن قرأ آية الكرسي لا يزال عليه من الله تعالى حافظ ولا يقربه شيطان. ومن الأدعية النافعة لحفظ النفس والولد ما جاء عن سيّدنا عُثْمَانَ بن عفان رضي الله عنه قال سمعتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:((من قال في أَوَّلِ يَوْمِهِ أو في أَوَّلِ لَيْلَتِهِ: بِسْمِ الله الذي لاَ يَضُرُّ مع اسْمِهِ شيء في الأَرْضِ وَلاَ في السَّمَاءِ وهو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، لم يَضُرَّهُ شيء في ذلك الْيَوْمِ أو في تِلْكَ اللَّيْلَةِ)). وعموم الدعاء ينفع العبد، فيردّ القدر، ويدفع البلاء، ولا سيما الأدعية التي فيها تعوّذ من البلاء؛ كما في حديث ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: كان من دُعَاءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم:((اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)). ومن الأسباب الشرعية لحفظ العبد في نفسه وأهله وولده، حظرا وسفرا: برّ الوالدَيْن، ووَصْل الأرحام، والإحسان إلى العباد، وإعانة المحتاجين بمال أو مشُورة أو شفاعة أو غيره. كما ورد في الحديث أنّ جبريل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالبعثة فخافه، وقال لأمّ المؤمنين السيّدة خدِيجَةَ رضي الله عنها:((لقد خَشِيتُ على نَفْسِي)). فقالت له رضي الله عنها:((كَلَّا. واللهِ ما يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الْحَقِّ)). والناس يغفلون عن الصدقة وهي من أهمّ أسباب الحفظ؛ كما جاء في حديث أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطفئ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ في الْعُمُرِ)). وفي حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ عن مِيتَةِ السُّوءِ)). فحريٌّ بالحاج أن يأخذ بهذه الأسباب الشرعية. مع عنايته بالأسباب المادية. ليحفظه الله تعالى في حضره وسفره، ويحفظه في أهله وماله وولده. ((فَاللهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)). أيُّها المسلمونَ. إنّ من الواجب علينا ونحن نودِّع هذه الأيام

القوافل الأُولى لحجّاجنا الميامين. الوقوفَ على السنّة النبوية في الوداع، هذا الوداع السنّي الذي نسيناه أو تغافلنا عنه، فاستبدلناه بتلك الكلمات الجافّة الجوفاء، التي لا تمتّ إلى الإسلام بصِلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودِّع المسافرين بخمسة أمور. أوّلا: تقديم وصية تنفع المسافر في دينه ودنياه، روى الترمذي أن رجلا قال: يا رسول الله؛ أريد أن أسافر فأوصني. فقال صلى الله عليه وسلم:((عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف))، لقد أوصاه صلى الله عليه وسلم بأمرين هامّين: أن يتحلّى في معاملاته بتقوى الله وخير الزاد التقوى، وذلك بامتثال أوامره سبحانه واجتناب نواهيه، وأن يكون قلبه مرتبطا بخالقه بذِكر الله أكبر، ((ألا بذِكر الله تطمئنّ القلوب)). ثانيا: جَعْل المسافر وديعة وأمانة في يد الله تعالى، ولن يَضيع مَن كان وديعة في يده سبحانه وتعالى، وقد جاء في السيرة النبوية عنه صلى الله عليه وسلم فيما روى الترمذي أنه إذا ودَّعَ أصحابه في السفر يقول لأحدهم:((أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ)). وهذا التوديع العظيم فيه دعاء بحِفظ المُوَدَّع في أموره الدينية والدنيوية، ولا يُحْسَن بالمودِّعين للمسافرين الغفلة عنه. وإن سافر دون أهله وولده فما أشدَّ حاجته إلى حفظهم حال غيبته عنهم، فَيُودِعُهُم اللهَ تعالى وهو خير حفيظ، قال أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه لِرَجُلٍ: أُوَدِّعُكَ كما وَدَّعَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:((اسْتَوْدَعْتُكَ اللهَ الذي لاَ يُضَيِّعُ وَدَائِعَهُ)). ومعنى أستودعك الله أطلب منه لك الحفظ والحماية. أيُّها المسلمونَ. وأمّا ثالثا: الدعاء للمسافر بالخير والتوفيق؛ فالمسلم يتمنّى لأخيه المسافر التوفيق والسلامة، فقد روى الترمذي:((أنّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي. قَالَ: زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى. قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: وَغَفَرَ ذَنْبَكَ. قَالَ: زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. قَالَ:وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ)). وفي رواية: ((فلمّا ولّى الرجل قال صلى الله عليه وسلم: اللهمّ اِطْوِ له البُعْد. وهوِّن عليه السفر)). ورابعا: طلب الدعاء من المسافر. لأنّه في موطن من مواطن إجابة الدعاء. لقوله صلى الله عليه

وسلم كما رواه الترمذي وغيره:((ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ)). وخصوصا عندما يكون هدف المسافر أداء مناسك الحج والعمرة، روى أبو داوود والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:((استأذنتُ النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة. فأذن لي. وقال: لا تنسنا يا أُخَيَّ من دعائك))، وفي رواية: ((أشركنا يا أُخَيَّ في دعائك))؛ فقال عمر رضي الله عنه معلِّقًا على هذا الإلتماس النبوي: ((إنها كلمة ما يسرّني أنّ لي بها الدنيا)). أيُّها المسلمونَ. وخامسا: صلاة ركعتين من النوافل في المنزل قبل المغادرة؛ لما روى الطبراني وابن أبي شيبة مرسلا أنّه صلى الله عليه وسلم قال:((ما خَلَّفَ عبدٌ عِنْدَ أَهْلِهِ أَفْضَلَ منْ رَكْعَتَيْنِ يَرْكَعُهُما عنْدَهُمْ حينَ يُرِيدُ سَفَراً))، وروى ابن أبي خزيمة عن أنس رضي الله عنه قال:((كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزل منزلا إلا ودَّعه بركعتين)). وكذلك من السنّة صلاة ركعتين في المسجد عند القدوم من السفر؛ فقد روى البخاري ومسلم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال:((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر ضُحًى، دخل المسجد فصلّى ركعتين قبل أن يجلس))، وفي رواية عن جابر رضي الله عنه قال:((كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فلمّا قدمنا المدينة قال لي: اُدخل المسجد فصلِّ ركعتين)). أيُّها المسلمونَ. إخواني حجّاج بيت الله الحرام: إحرصوا رحمكم الله فِي هذه الرحلة الإيمانية على الإكثار من ذِكْرِ الله تعالى. وتلبيتِه وتهليلِه. وتسبيحِه وتحميدِه. وقراءةِ كتابِه العزيز، والإكثار من الصلاةِ والسلامِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وَاحْمُدُوا اللهَ تعالى الذي يسّر لكم أداء هذه الشعيرة العظمى. واسألوه أن يوفّقكم لإقامتها على الوجهِ الأكمل. والسَّنَنِ الأمثل. إخواني حجّاج بيت الله الحرام: لا تنسوا وأنتم في تلك البقاع المقدّسة الطاهرة حيث تُجاب الدعوات. وتُنال الرغبات. ما عليكم من حقّ الدعاء لوطنكم. ولولاّة أموركم. بأنْ تسألوا الله تعالى لبلدنا الجزائر دوام نعمة الأمن والطمأنينة. والإستقرار والسكينة. حتى يبقى

موحَّد الصّفّ. ملتئِم الكلمة. وأن تدعوا لجميع بلاد المسلمين بِلَمِّ الشمل. وتحقيق الوحدة. في مشارق الأرض ومغاربها. إنه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه. أيّها المسلمون. حُقَّ لِمَنْ شاهَدَ السَّائِرِينَ إِلَى مَكَّةَ المكرّمة وَهُوَ قَاعِدٌ أَنْ يَحْزَنَ وَيُشْفِقَ. ولِمَنْ رَأَى الْوَاصِلِينَ إلى الكعبة المشرّفة وَهُوَ مُنْقَطِعٌ أَنْ يزعج ويَقْلَقَ، غير أَنَّ الْمُتَخَلِّفَ لِعُذْرٍ، شَرِيكٌ لِلسَّائِرِ فِي الأَجْرِ؛ ففي صحيح البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ؛ فَقَالَ:((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)). قال ابن العريف المالكيّ رحمه الله وهو يعبّر عن حرارة شوقه. وبُعده عن الحرميْن الشريفيْن:

يَا سَائِرِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ * سِرْتُمْ جُسُوماً وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا

إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرٍ وعنْ قَدَرٍ * وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَا

اللهمّ اجْبُر حنين أفئدتنا يا ذا الجلال والإكرام. بتسهيل حجّ بيتك الحرام. وزيارة حبيبك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. اللهم وفِّق حجّاجَنا إلى البِرِّ والتّقوى، ومِن العَمل الصالح ما ترضَى، واجعل اللهم سفرهم سعيدًا، وعَوْدهم إلى بلادهم حميدًا، اللهم اجعل حجّهم مبرورا. وسعيهم مشكورا. وذنبهم مغفورا. وعملهم متقبَّلا مأجورا. ورجوعَهم سالما غانما موفورا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربَّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ